الفصل العاشر

اقتسام أملاك مصر فى السودان

انتهزت انجلترا فرصة إخلاء السودان ، وأخذت تنفذ خطتها المرسومة ، من انتقاص أطرافه ، والتواطؤ مع مختلف الدول على اقتسام أملاك مصر فى أرجائه .

فى السودان الشرقى

وقد بدأت بالسودان الشرقى ، فأخلت الحامية المصرية « مصوع » سنة ١٨٨٥ ، تنفيذاً لقرار إخلاء السودان ، واحتلها الإيطاليون فى تلك السنة ، باتفاقهم مع الإنجليز ، واستولوا أيضاً على محافظة مصوع كلها وبلاد الأريترية ورأس جردفون (جردفوى) .

واستولى الإنجليز على محافظتى « زيلع » و « بربره » سنة ١٨٨٥ ، والفرنسيون على تاجوره وجيبوتى .

وجلا المصريون عن « هرر » سنة ١٨٨٥ ، وعادت إلى الأسرة التى كانت تحكمها قبل الفتح المصرى ، ثم استولى عليها الأحباش عنوة سنة ١٨٨٧ ، واستولوا أيضاً على « بنى شنقول » من أعمال فازوغلى .

وعقدت إيطاليا وانجلترا معاهدة ١٥ ابريل سنة ١٨٩١ ، التى كملت بمعاهدة ٥ مايو سنة ١٨٩٤ ، فسوت الدولتان اقتسام النفوذ بينهما فى السودان ، إذ أقرت انجلترا ما أخذته إيطاليا على حدود البحر الأحمر وفى الصومال ، وجعلت هرر ومعظم أوجادن وبلاد الصومال إلى رأس جردفون داخلة فى أملاكها ، ورخصت لإيطاليا باحتلال (كسله) والأراضى المتاخمة لها

لغاية نهر العطبره احتلالا مؤقتاً ، إلى أن يتاح للحكومة المصرية استردادها ، وأقرت إيطاليا لانجلترا احتلالها زيلع وبربره .

واحتل الإيطاليون (كسلا) فى ١٧ يوليه سنة ١٨٩٤ ، اعتماداً على هذا الاتفاق ، ثم طالبتها بها انجلترا بعد انتصار الحملة المصرية الإنجليزية ، فعادت إلى السودان سنة ١٨٩٧ .

فى مديرية خط الاستواء

بسطت مصر حكمها على أعالى النيل فى عهد الخديو اسماعيل ، وفتحت مملكة « أونيورو » المتاخمة لبحيرة « البرت » شرقاً ، ودخلت فى أملاك مصر (مايو سنة ١٨٧٢) ، ثم بسطت حمايتها على مملكة « أوغنده » سنة ١٨٧٤ ، وأنشأت النقط العسكرية الحصينة فى أعالى النيل ، ومن أهمها « اللادو » و « لابورى » و « الرجاف » على النيل الأبيض ، و « مكركه » جنوبى بحر الغزال ، و « مرولى » على نيل فيكتوريا ، و « مقانقو » الواقعة على مصب نيل فيكتوريا فى بحيرة البرت ، و « ماسندى » عاصمة أونيورو ، و « أورندجانى » على نهر « السومرست[1] » ، شمالى بحيرة فيكتوريا ، وأخرى على بحيرة فيكتوريا ذاتها بالقرب من شلالات « ريبون » ، حيث يخرج النيل من بحيرة فيكتوريا ، وبالجملة بسطت مصر سلطتها على جميع البلاد الواقعة حول بحيرة فيكتوريا وبحيرة البرت ، واكتشفت بحيرة « ابراهيم » المسماة الآن بحيرة « كيوجا » إحدى البحيرات التى ينبع منها النيل .

وسميت هذه الجهات (مديرية خط الاستواء) ، التى كانت تمتد من

---

(١) هو نيل فيكتوريا وهو اسم النيل من منبعه من بحيرة فيكتوريا إلى مصبه فى بحيرة البرت (راجع الخريطة ص ١٦١)

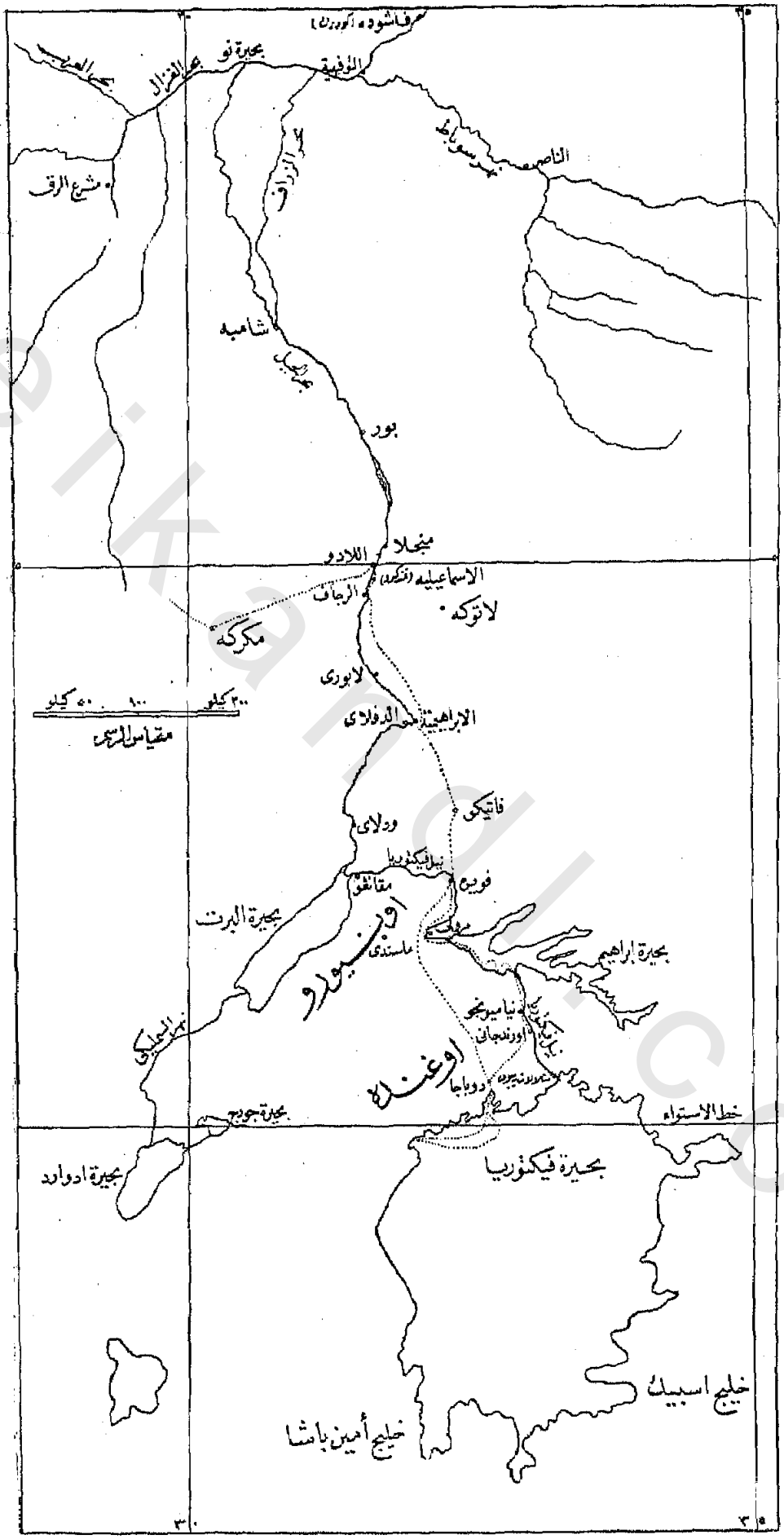

خريطة مديرية خط الاستواء (نقلا عن كتابنا عصر اسماعيل ج ١ ص ١٢٨)

جنوبى « فاشودة » إلى جنوبى خط الاستواء[١] .

وكان غردون باشا مديراً لخط الاستواء فى عهد الخديو اسماعيل ، من سنة ١٨٧٤ إلى سنة ١٨٧٦ ، واستقال من منصبه فى تلك السنة ، ثم عين حكمداراً لعموم السودان سنة ١٨٧٧ ، وفى عهده عين ابراهيم بك فوزى (باشا) مديراً لخط الاستواء .

ابراهيم فوزى باشا

هو من القواد المصريين الأكفاء الذين ساهموا فى فتوحات مصر وبسط نفوذها فى أعالى النيل ، ولد بالقاهرة ودخل المدرسة الحربية فى عهد اسماعيل ، وبعد تخرجه التحق بالخدمة فى السودان ، وكان حكمداره وقتئذ اسماعيل باشا أيوب[٢] .

ولما عين الخديو اسماعيل الكولونل غردون (باشا) حاكما (مأموراً) لخط الاستواء سنة ١٨٧٤ كان ابراهيم فوزى لم يزل ضابطاً صغيراً بالجيش المصرى بالخرطوم ، فطلب غردون من اسماعيل باشا أيوب اختيار بعض الضباط المصريين ، ليعاونوه فى مهمته بخط الاستواء ، فتقدم ابراهيم فوزى لمرافقة غردون ، خدمة لمصر ، فشكره غردون على هذه الرغبة ، وعهد إليه فرز الجنود وتدريبهم ، وبعد أن تم إعداد البواخر المقلة للحملة ، ولاّه قيادتها ، فأبحرت البواخر واجتازت النيل الأبيض فبحر الزراف فبحر الجبل ، إلى أن وصلت إلى البحيرات الكبرى ، وكان للمترجم فضل كبير فى بسط النفوذ المصرى فى جهات خط الاستواء ، وقد عين مأموراً لبور و الغربية ، ورقى إلى رتبة البكباشى .

---

(١) راجع تفصيل ذلك فى كتابنا عصر اسماعيل ج ١ ص ١١٣ وما بعدها ، هذا ولم توضع حدود دقيقة بين مديريتى فاشودة وخط الاستواء ، ويقول ابراهيم باشا فوزى ان جهات خط الاستواء تبدأ من ملتقى نهر سوباط بالنيل ، ويرى آخرون أنها تبدأ من (شامبه) على بحر الجبل (أنظر الخريطة ص ١٦١)

(٢) عن ترجمته بقلم محمود ذو الفقار الكاشف — الأهرام ٢٩ يناير سنة ١٩٣٥

ولما عاد غردون إلى مصر، رافقه المترجم، وقابل وإياه الخديو اسماعيل، فأنعم عليه برتبة قائمقام، وسافر غردون إلى انجلترا، أما ابراهيم بك فوزى فعاد إلى خط الاستواء، وعين وكيلا للمديرية، وبذل جهودا موفقة فى إتمام فتح أقاليم خط الاستواء.

ثم عين غردون باشا حكمداراً لعموم السودان (فبراير سنة ١٨٧٧) بدلا من اسماعيل باشا أيوب، فعين المترجم (باشمعاوناً) للحكمدارية، وكانت هذه الوظيفة هى التالية لوظيفة وكيل حكمدار عموم السودان، ثم عين مديرا لمديرية خط الاستواء، بدلا من الكولونل براوت Prout الأمريكى، وعلى أثر وشاية ضده من الدكتور جونكر السائح الألمانى، فصله غردون باشا من منصبه. وكان وقتئذ برتبة أميرالاى، وعين بدله الدكتور ادوار شنيتزر Edward Schnitzer الذى عرف بعد باسم محمد أمين (باشا)، فعاد المترجم إلى مصر، وأحيل إلى الاستيداع[1].

ولما تولى عثمان باشا رفقى وزارة الحربية سنة ١٨٧٩، عين المترجم فى وظيفة مأمور عمليات مديرية الغربية، ثم مأموراً لتعداد النفوس بمديرية الجيزة، وفى عهد الحوادث العرابية عين باشمعاونا لوزارة الحربية، ومكث بها حتى ضرب الاسكندرية، وكان موالياً للعرابيين، وتولى قيادة أحد الألايات التى جندت وقتئذ، وكان مقر هذا الألاى فى (رشيد)، ثم صدر إليه الأمر بالتوجه إلى (أبو قير)، فعسكر بها على رأس ألايه، إلى أن وقعت هزيمة التل الكبير، وصدر إليه الأمر بعد الهزيمة بتسليم أسلحة ألايه وذخيرته إلى الجنرال وود بكفر الدوار، فأذعن للأمر، ثم سجن ضمن الضباط الذين اتهموا بشق عصا الطاعة على الخديو توفيق باشا، وجرد من رتبه وألقابه ونياشينه التى أحرزها بما عاناه من المتاعب والمشاق، واقتحام الأهوال. فى فتوحات خط الاستواء، ثم عفا عنه الخديو سنة ١٨٨٤ ورد إليه رتبه ونياشينه، وأنعم عليه

---

(١) عن ترجمته بقلمه فى كتابه (السودان بين يدى غردون وكتشنر).

برتبة اللواء ، وصحب غردون باشا إلى الخرطوم فى تلك السنة ، وأبلى بلاء حسنا فى الدفاع عن الخرطوم أثناء حصارها ، وشهد أهوال الحصار عدة أشهر ، وجرح جرحا بليغاً فى واقعة الحلفاية (١٣ مارس سنة ١٨٨٤) ، ومكث طريح الفراش ثلاثة أشهر ، وعينه غردون باشا رئيس أركان حرب الحكمدارية ، ولما سقطت الخرطوم ، أسره الدراويش وسجنوه ، وأساءوا معاملته ، وبقى أسيرا نيفاً وثلاثة عشر عاما ، إلى أن استعاد الجيش المصرى الخرطوم وفك أسره فى سبتمبر سنة ١٨٩٨ .

وقد وضع كتابه (السودان بين يدى غردون وكتشنر) فى جزئين ، ظهرا فى صفر سنة ١٣١٩ (١٩٠١ م) ، وهو تاريخ حافل شامل لوقائع ثورة المهدى بالسودان ، ويبدو للمتأمل فيه أن المترجم كان متأثراً من معاملة الدراويش إياه فى الأسر ، مما جعله يبالغ فى تقبيح أعمال المهدى جميعها ، ويغلو فى إيراد المساوئ ، على أن كتابه فى الجملة يعد من أهم المراجع فى تاريخ السودان ، ويمكن للقارئ أن يستخلص منه الحقائق ، بعد استبعاد ما يتخلله من المبالغة والغلو .

عود الى خط الاستواء

قلنا إن غردون باشا قد فصل ابراهيم بك فوزى من منصب مدير خط الاستواء ، وعين مكانه الدكتور إدوار شنتزر Edward Schnitzer

والدكتور شنتزر هو طبيب ألمانى ، اشتغل حيناً فى خدمة تركيا ، واعتنق الإسلام ، ثم عاد إلى ألمانيا ، وفى سنة ١٨٧٦ جاء مصر ولحق بغردون باشا فى الخرطوم ، حين كان حكمداراً للسودان ، وجعله رئيس الإدارة الصحية ، واختار لنفسه اسم محمد أمين الحكيم

فالدكتور ادوارشنتزر هو الذى عرف بعد ذلك بأمين باشا ، وقد كان له الأثر الطيب فى الدفاع عن السيادة المصرية فى أعالى النيل ، لما أبداه من الإخلاص

والولاء لمصر ، وقد أوفده غردون إلى (اللادو) للمحافظة على مخازن الحكومة والعناية بالمرضى ، وعهد إليه بمهمات لدى ملك أوغنده ، ثم لدى ملك إوينورو ، وفى سنة ١٨٧٨ أنعم عليه برتبة (بك) ، وعين مديراً لخط الاستواء ، وكانت من أهم مديريات السودان المصرى وأوسعها نطاقاً ، فسار أمين بك سيرة عدل وإصلاح ، وحبب إليه الأهلين بحسن سيرته ، ورفع شأن الحكومة المصرية بما أبداه من ضروب الإصلاح ، فقد وطد الأمن ، وطارد تجار الرقيق ، ونظم الجند من الأهلين ، ونهض بالزراعة ، واستحدث زراعات حديثة ، وعلّم الأهلين طريقة زراعة الأرز والبن والنيلة ، وعلمهم بعض الصنائع ، وبخاصة صناعة النسيج والأحذية والصابون والشمع ، ولقح الكثيرين منهم بالمادة الجدرية ، وأنشأ مستشفى لمعالجتهم ، وأنشأ مكاتب للبريد ، ومكاتب لتعليم الأهلين[1] .

وأظهر من الكفاية الإدارية ما شهد له به السواح الذين جابوا تلك الأصقاع ، وكان من نتائج حسن إدارته أن ازداد إيراد المديرية ، دون أن يرهق الأهلين ، وقد شهد بمزاياه الرحالة الإنجليزى ستانلى الذى اختطفه من مديرية خط الاستواء بتدبير الحكومة الإنجليزية ، كما سيجىء بيانه ، وشهادته من هذه الناحية لها قيمتها ، لصدورها من خصم عنيد ، قال عنه : « إن ما أظهره من المواهب والكفايات والمقدرة فى مركزه الدقيق وتنظيم جنوده وحسن ملبسهم وحالة بواخره ومراكبه بعد طول العمل ، والنظام الصحى الذى أنشأه ، والنظام الذى يسود المحطات ، وسهولة تحصيل الضرائب برضا الأهلين ، كل ذلك يدل على كفاية ومواهب ينـدر وجودها بين الذين اتخذوا أفريقية ميداناً لنشاطهم » .

وكان أمين بك معروفاً فى الأوساط العلمية بأوربا كعالم من علماء الطبيعيات مولع بدرس النبات .

---

(١) عن الوقائع المصرية عدد ٥ يناير سنة ١٨٨٧

حملة الدراويش الأولى

سنة ١٨٨٤

وبقيت مديرية خط الاستواء رغم شبوب الثورة المهدية محتفظة بالحكم المصرى ، فقد زحف كرم الله أحد عمال المهدى على حدودها ، وأرسل إلى أمين بك فى مايو سنة ١٨٨٤ كتاباً من المهدى يطلب إليه التسليم ، كما سلم سلاطين ولبتن ، وإلا فإنه يزحف عليه ، فرفض أمين بك التسليم ، فحاصر كرم الله مدينة (أمادى)[١] فى نوفمبر سنة ١٨٨٤ ، ودافعت عنها حاميتها بقيادة الضابط الباسل مرجان افندى الدناصورى دفاعاً مجيداً ، حتى نفد ما لديهم من الزاد ، فاخترقوا نطاق الحصار قاصدين إلى (ودلاى) ، ونجا بعضهم ووصلوا إلى ودلاى ، ولكن الدراويش تكاثروا على الباقين ، فقتل مرجان افندى ومن معه فى أواخر مارس سنة ١٨٨٥ ، واحتل كرم الله (أمادى) ، وأرسل إلى أمين بك يطلب إليه التسليم ، ويتهدده بالزحف على البلاد وفتحها عنوة ، فلم يجبه ، وأخلى مدينة (اللادو) وحصن مواقعه وجمع عساكره على النيل بين الرجاف وودلاى ، وجعل ودلاى[٢] عاصمة المديرية . فارتد كرم الله إلى بحر الغزال ، ونجت البلاد مؤقتاً من غزوات الدراويش

وما فتئ أمين بك والضباط والموظفون الذين معه ينظمون قوات الدفاع عن المديرية ، وفى مقدمتهم الأمير الاى سليم بك مطر ، والبكباشى عثمان افندى لطيف وكيل المديرية ، والملازم الثانى عبد الوهاب افندى طلعت ، الذى قتل فى واقعة الرجاف ، ومن الضباط السودانيين حامد محمد بك ، وفضل المولى افندى ، وعلى جبور افندى ، وبخيت افندى ، وغيرهم

وقد أرسل أمين بك إلى الحكومة المصرية عن طريق زنجبار يطلب النجدة ، وبدلا من أن يتلقى ما يطلبه جاءه فى فبراير سنة ١٨٨٦ خطاب من نوبار باشا

---

(١) أنظر موقعها بالخريطه ص ٩٢

(٢) أنظر هذه المواقع بالخريطة ص ١٦١

مؤرخ فى ٢٧ مايو سنة ١٨٨٥ (١٣ شعبان سنة ١٣٠٢) ، ينبئه فيه بقرار الحكومة المصرية إخلاء السودان ، ويخيره بين الرحيل عن المديرية ، والبقاء فيها ، وهذا نصه (١) :

« إلى أمين باشا قائد جنود خط الاستواء فى غندوكورو

« إن حركة الثورة التى شبت فى السودان اضطرت حكومة صاحب السمو إلى إخلاء تلك الأراضى ، وبناء على ذلك لا نستطيع أن نبعث لكم بأى إمداد ، ومن جهة أخرى نحن لا نعرف بالتدقيق موقفكم ، أنتم والجنود الآن ، بل وليست متوافرة لدينا الوسائل لإمدادكم بما يلزم من الإرشادات بصدد الخطة الواجب اتباعها ، وعلاوة على هذا وذاك إذا طلبنا منكم إرسال تقرير مفصل عن الموقف لنبنى عليه ما نزودكم به من التعليمات ، فإن ذلك يستغرق زمناً طويلا ، وقد يكون ضياع هذا الوقت فى غير مصلحتكم ، والغرض من هذا الجواب الذى سوف يصل إليكم عن طريق زنزبار بواسطة السير جون كيرك قنصل بريطانيا فى هذا البلد الأخير ، هو منحكم الحرية التامة فى العمل ، فإذا رأيتم أن الأضمن لكم ولجنودكم الانسحاب والرجوع إلى مصر ، فالسير جون كيرك وسلطان زنزبار يكتبان لمختلف رؤساء الزنوج الضاربين فى الطريق ويبذلان ما فى وسعهما لكى يسهلا لكم الانسحاب

« ومرخص لكم الحصول على ما يلزمكم من العملة ، وذلك بواسطة سحب سفاتج على السير جون كيرك ، وأكرر لكم القول وأعيده بأن لكم مطلق التصرف بما يناسب مصلحتكم ، ومصلحة الجنود ، هذا وفى وسعنا أن نفيدكم أن الطريق الوحيد الممكن عبوره فيما إذا أردتم مبارحة غندوكورو هو طريق زنزبار ، ورجاؤنا هو أنه عند ما تستقرون على رأى أن تشعرونا فى الحال بما

---

(١) عن كتاب (تاريخ مديرية خط الاستواء المصرية ، من فتحها إلى ضياعها ١٨٦٩ — ١٨٨٩) لصاحب السمو الأمير عمر طوسون ج ٢ ص ٣٦٠

تقررونه ، وسيكتب لكم أيضاً السير جون كيرك ليحيطكم بالوسائل التى سيحاول اتخاذها ليسهل لكم الانسحاب عن طريق زنزبار »

رئيس مجلس النظار

نوبار

فآثر أمين باشا ومن معه البقاء فى مراكزهم ، إلى أن يقضى الله أمراً كان مفعولا .

وكان موقفه وموقف الضباط والموظفين الذين معه موضع الإعجاب والتقدير ، جاء فى الوقائع المصرية ما يأتى فى هذا الصدد :

« تعطفت المكارم الخديوية السنية على سعادة محمد أمين باشا مدير خط الاستواء بتحرير كتاب بالخط المنيف يتضمن جزيل الممنونية والسرور ، من إخلاصه للجناب الرفيع ، ويأمره بتبليغ مزيد التهانى إلى جميع الموظفين الملكيين والضابطان والعساكر الذين تحت إمرته على ما بذلوه من البسالة ، وما بدا منهم من الشجاعة ، فيما تكبدوه من مشاق المقاومة فى مساعدة سعادته أثناء الشدائد التى مرت عليهم بتلك الأصقاع ، ثم شفع جنابه الرفيع الخطاب المنيف بالتصديق على الرتب والترقيات التى أصدرها سعادته لجميع موظفى مديرية خط الاستواء »[1] .

حملة استانلى Stanley

ساء موقف أمين باشا الحكومة الانجليزية ، لأن ولاءه للحكم المصرى يحول دون تنفيذ برنامجها ، وهو تقليص ظل السلطة المصرية عن مديرية خط الاستواء ، فدبرت حملة الرحالة استانلى لإقصاء أمين باشا عنها ، وظهرت بادئ الأمر بمظهر الراغب فى إنقاذه ، فأذاعت عنه أنه فى خطر ، وأنه إذا ترك وشأنه ، فإنه لا يلبث أن يكون مصيره كمصير غردون باشا .

---

(١) الوقائع المصرية عدد ٢٩ نوفمبر سنة ١٨٨٦

على أن أمين باشا لم يكن يهدده أى خطر ما ، بل كان آمناً مطمئنا ، وكانت مديرية خط الاستواء بفضل ثبات أعوانه فى الحكم ، من عسكريين وملكيين ، هى المنطقة الوحيدة التى لم يستطع المهدى وخلفاؤه أن يبسطوا نفوذهم عليها ، فلما ترامى إلى أمين نبأ هذه الحملة ، وأن الغرض منها إنقاذه ، كتب إلى بعض أصدقائه يخبرهم أنه لا يشكو شيئاً ، وأنه فى أمن وطمأنينة ، ولا يريد أن يغادر مديريته ، وأنه وأعوانه ورجاله راضون عن حالتهم ، عازمون على البقاء فى مراكزهم .

وبالرغم من ذلك جهزت الحكومة الإنجليزية حملة استانلى ، أو حملة « الإنقاذ » كما أسمتها ! وغادر الرحالة لندن فى يناير سنة ١٨٨٧ ، ووصل إلى القاهرة فى ٢٧ منه ، وهناك تلقى التعليمات الأخيرة من السير افلن بارنج (اللورد كرومر) ، والسير فالنتين بيكر باشا Valentin Baker قومندان البوليس ، والجنرال ستفنسون Stephenson قائد جيش الاحتلال ، والسردار جرنفل باشا Grenfell ، ثم قابل الخديو توفيق باشا ، فسلمه كتاباً برسم أمين باشا ، بتاريخ أول فبراير سنة ١٨٨٧ (٨ جمادى الأولى سنة ١٣٠٤ هـ) ، يثنى فيه عليه وعلى من تحت إمرته من الضباط والجند ، ثم ينهى إليه نبأ بعثة « الإنقاذ » التى يتولاها استانلى ، ويخيره مع ذلك بين المجىء إلى القاهرة ، والبقاء فى مركزه ، ولما لهذه الوثيقة من الشأن فى تاريخ السودان ، ننشرها هنا بنصها [1] :

« إلى محمد أمين باشا مدير خط الاستواء

« قد سبق أننا شكرناكم على بسالتكم وثباتكم أنتم والضباط والعساكر الذين معكم وتغلبكم على المصاعب ، وكافأناكم على ذلك بتوجيه رتبة اللواء

(١) عن كتاب (تاريخ مديرية خط الاستواء السرية) المتقدم ذكره لصاحب السمو الأمير عمر طوسون ، وهو يختلف قليلا عن النص الوارد لهذه الوثيقة فى كتاب (السودان) لنعوم بك شقير ص ٤٩٦ ، وقد اعتمدنا النص الوارد فى كتاب سمو الامير ، لأنه مأخوذ عن الوثيقة الأصلية ، وكذلك خطاب نوبار إلى أمين باشا .

الرفيعة إلى عهدتكم ، وصدقنا على جميع الرتب والمكافآت التى منحتموها للضابطان ، كما أخطرناكم بأمرنا العالى الصادر فى ٢٩ نوفمبر سنة ١٨٨٦ نمرة ٣١ سايرة ، ولا بد أنه وصل إليكم أمرنا المشار إليه مع البوستة المرسلة من طرف دولتلو نوبار باشا رئيس مجلس نظار حكومتنا ، وبما ان ما بذلتموه من حسن المساعى وما كابدتموه من الأعمال الخطيرة التى قمتم بها قد استوجب زيادة محظوظيتنا منكم أنتم والضباط والعساكر الذين معكم ، فقد تروّت حكومتنا فى الكيفية التى يمكن بها إنجادكم وتخليصكم مما أنتم فيه من المشقات ، والآن قد تشكلت نجدة تحت رياسة جناب المستر استانلى العالم الشهير والسائح الخبير الذائع صيته بين الممالك بكمال فضله على أقرانه ، واستعدت هذه الرسالة للذهاب إليكم ومعها ما أنتم فى حاجة إليه من المؤونة والذخائر بقصد حضوركم أنتم والضباط والعساكر إلى مصر عن الطريق الذى يتراءى للمستر استانلى المومى إليه أنه أكثر موافقة وأسهل عبوراً ، وبناء عليه أصدرنا أمرنا هذا لكم ومرسلينه بيد المستر استانلى المومى إليه إعلاماً بالكيفية ، فبوصوله تبلغونه إلى الضباط والعساكر المومى إليهم وتقرئونهم سلامنا العالى ليحيطوا علماً بما ذكر ، وإننا مع ذلك نترك لكم وللضباط والعساكر المومى إليهم الحرية التامة فى الإقامة أو تفضيل اغتنام فرصة الحضور مع هذه النجدة المرسلة إليكم ، وقد قررت حكومتنا بأنها ستصرف لكم ولجميع المستخدمين والضابطان والعساكر كامل ماهياتهم ومرتباتهم المستحقة ، أما من يريد البقاء فى تلك الجهات من الضابطان والعساكر فله الخيار ، إنما يكون ذلك تحت مسئوليته وبإرادته المطلقة ، ولا ينتظر بعد ذلك أدنى مساعدة من الحكومة ، فافهموا ذلك جيداً ، وبلغوه بتمامه لسائر الضابطان والعساكر المذكورين ليكون كل منهم على بينة من أمره ، وهذا كما اقتضته إرادتنا .

« توفيق »

وعهد إليه نوبار باشا أيضاً أن يوصل إلى أمين باشا خطاباً آخر منه بمعنى خطاب الخديو توفيق باشا ، قال فيه [١] :

« سعادة أمين باشا مدير خط الاستواء

« قد بعثنا لكم بواسطة قنسلاتو انجلتره بزنجبار كتاباً من الحضرة الخديوية تشكركم به على حسن مساعيكم وعلى الأعمال الخطيرة التى قمتم بها أنتم والضباط والعساكر ، وتمدحكم على ثباتكم وبسالتكم وتغلبكم على المصاعب المحدقة بكم ، وأنها إيذاناً لمحظوظيتها منكم قد أحسنت عليكم برتبة اللواء الرفيعة وأقرت على جميع الرتب والمكافآت التى منحتموها للضباط ، وكنا أفدناكم بأنه سيصير إبعاث نجدة لكم ، فالآن هذه الرسالة قد تشكلت تحت رياسة المستر استانلى الذى يسلمكم خطابنا هذا مع إرادة سنية من الحضرة الخديوية ، وهذه الرسالة قد تشكلت واستعدت للذهاب إليكم ومعها المؤونة والذخائر التى أنتم فى حاجة إليها ولتحضركم أنتم والضباط والعساكر إلى مصر عن الطريق الذى يتراءى للمستر استانلى أنه أكثر موافقة ، ولا لزوم لإسهاب الشرح عن الغاية المقصودة من هذه الرسالة ، إلا أن الحضرة الخديوية تترك لكم وللضباط وللعساكر الموجودين معكم الحرية التامة إما بالإقامة فى الجهات الموجودين بها وإما باغتنام الفرصة للحضور مع النجدة المرسلة إليكم ، إنما يلزم أن تعلموا وتفهموا أيضاً جميع الضباط والعساكر وخلافهم بأنه إذا كان البعض منهم يروم البقاء فى الجهات الموجودين بها فله الخيار فى ذلك ، إنما يكون ذلك تحت مسئوليته وبمطلق إرادته ، وأنه لا ينتظر فيما بعد أدنى مساعدة من الحكومة ، فهذا ما تريد الحضرة الخديوية أن تفهموه جيداً لمن يريد البقاء هناك ، ولا حاجة لى بأن أخبركم بأنه ستصرف لكم أنتم وجميع الضباط والعساكر والمستخدمين ماهياتكم ورواتبكم المستحقة لكم إذ أن الحضرة الخديوية قد أقرت على رتبكم ،

---

(١) المرجع السابق ج ٣ ص ٥٣

هذا وإننى أتأمل أن مستر استانلى يراكم جميعاً بغاية الصحة والسلامه ، فإن هذا هو أقصى رغبتنا وما نشتهيه لكم من كل قلوبنا »

رئيس مجلس النظار

« نوبار »

وقصد استانلى مع حملة «الإنقاذ» إلى زنجبار ومنها إلى بحيرة البرت نيانزا ، فالتقى بأمين باشا فى ابريل سنة ١٨٨٨ ، وسلمه خطابى الخديو ونوبار باشا ، وبعد أن أنعم النظر فيهما وفى حالته ، جنح إلى الانسحاب ، وأخذ يطوف مواقع الحاميات ليتلو عليهم خطاب الخديو ، ولكن الضباط والجنود رفضوا الإذعان ، وسرت بينهم الفكرة بأن جواب الخديو مزور ، فلما وصل أمين باشا إلى (الدفلاى) اعترضه فضل المولى بك ، أحد الضباط السودانيين العظام ، وألقى القبض عليه ، ثم عقد مجلساً من الضباط ، فقرروا عزل أمين باشا عن منصبه ، لجنوحه إلى إخلاء المديرية ، ونادوا بالبكباشى (القائممقام) حامد بك محمد مديراً على خط الاستواء مكانه ، وجعلوه قائممقاما ، والأمير الاى سليم بك مطر قومندانا للأورطة الثانية .

حملة الدراويش الثانية

سنة ١٨٨٨

وفى اكتوبر سنة ١٨٨٨ استأنف الدراويش الزحف على المديرية بقيادة (عمر صالح) أحد عمال التعايشى ، فوصلوا إلى (اللادو) التى أخلاها أمين باشا منذ سنة ١٨٨٥ ، كما تقدم بيانه ، ثم هاجموا (الرجاف) فى نوفمبر ، فدافعت عنها الحامية دفاع الأبطال ، وقتل من ضباطها السودانيين أثناء القتال حامد بك محمد ، وعلى افندى جبور ، وبخيت افندى . ومن الضباط المصريين عبد الوهاب افندى طلعت ، وسالم افندى خلاف ، ومحمد افندى متولى ، واستقر الدراويش فى المدينة ، ثم تقدموا جنوبا ، فحاصروا (الدفلاى)

وفى غضون ذلك أفرج الثوار عن أمين باشا ، لكى يكونوا يداً واحدة فى ردّ غارة الدراويش ، وقاتلت حامية (الدفلاى) عن المدينة ، بقيادة الأميرالاى سليم بك مطر قتالا مجيدا كلل بالظفر ، فارتد عنها الدراويش ، وانسحبوا إلى الرجاف .

الجلاء عن المديرية

واستمر استانلى فى تنفيذ مهمته ، ولجأ تارة إلى الإقناع ، وطوراً إلى التهديد ، حتى أجلى أمين باشا ومعظم الذين معه عن المديرية فى أوائل سنة ١٨٨٩ ، واقتادهم من (كفالى) الواقعة على بحيرة البرت جنوباً ، إلى سواحل زنجبار ، وبذلك تقلص ظل الحكم المصرى عن مديرية خط الاستواء ، ثم توفى سليم بك مطر فى أوغنده ، وهو على أهبة السفر إلى مصر ، أما أمين باشا فقد دخل فى خدمة الحكومة الألمانية ، بعد جلائه عن خط الاستواء ، ورأس حملة إلى أواسط أفريقية وصل بها قريباً من نهر الكونجو ، حيث توفى مقتولا فى اكتوبر سنة ١٨٩٢ .

معاهدة أول يوليه سنة ١٨٩٠

بين انجلترا وألمانيا

اعتزمت انجلترا بعد جلاء المصريين عن مديرية خط الاستواء أن تتفق ومنافسيها من دول الاستعمار على أن تكون هذه المنطقة من نصيبها ، فأبرمت وألمانيا معاهدة فى أول يوليه سنة ١٨٩٠ ، تضمنت إقرار ألمانيا للمركز الذى ادعته انجلترا فى أعالى النيل ، فنصت على أن أفريقية الشرقية البريطانية تمتد إلى حدود مصر وإلى حدود الكونجو البلجيكية ، وبعد إبرام هذه المعاهدة سيرت الحكومة البريطانية حملة على أوغندة لبسط نفوذها فيها ، وفى مارس سنة ١٨٩٣ أعلنت بسط حمايتها عليها ، واستولت على أوغندة وأونيورو ، وبذلك وطدت

مركزها فى أواسط أفريقية وأعالى النيل ، قبل أن توعز إلى الحكومة المصرية باسترداد السودان ، حتى يكون لها عليه السيطرة التامة بعد استرداده .

والخلاصة أن انجلترا اغتصبت من أملاك مصر الجنوبية أوغنده وأونيورو ومنطقة البحيرات ، والجزء الجنوبى كله من مديرية خط الاستواء القديمة التى كانت من أملاك مصر (راجع الخريطتين ص ٩٢ و ١٦١)

معاهدة ١٢ مايو سنة ١٨٩٤

بين انجلترا والبلجيك

وعقدت انجلترا مع بلجيكا معاهدة فى ١٢ مايو سنة ١٨٩٤ كان الغرض منها الحيلولة بين فرنسا وحوض النيل حتى تأمن مزاحمتها ، وقد حددت هذه المعاهدة الحدود بين ولاية الكونجو التابعة لبلجيكا وبين السودان

استعادة السودان

واتفاقية ١٩ يناير سنة ١٨٩٩

ظلت مديريات السودان فى يد المهديين إلى أن أخذت مصر تستعيدها واحدة بعد أخرى ، بعد أن طاب للإنجليز أن يستردوا السودان لحسابهم ، بقوات مصر وأموالها ، فبدأت بفتح طوكر فى ١٩ فبراير سنة ١٨٩١ ، كما تقدم بيانه ، ثم انتهت باستعادة سائر مديريات السودان ، والقضاء على دولة الدراويش ، وقُتل الخليفة عبد الله التعايشى فى ٢٤ نوفمبر سنة ١٨٩٨ ، كما تراه فى موضعه من كتابنا (مصطفى كامل) ص ٣١٨ وما بعدها ، وأكرهت انجلترا الحكومة المصرية على إبرام اتفاقية ١٩ يناير سنة ١٨٩٩ التى جعلت السودان شركة بين مصر وانجلترا ، وانتقصته من أطرافه ، فصار يشمل السودان المصرى عدا ما اغتصبته منه الدول مما تقدم بيانه .

وتراجع الحد بين مصر والسودان ، فصار ينتهى عند الخط ٢٢ من خطوط العرض ، وأصبح حد السودان الشمالى يبدأ عند (فرص) شمالى وادى حافا ، بعد أن كان الحد الجنوبى لمصر قبل الفتح الأول للسودان يصل إلى جزيرة (ساى) جنوبى وادى حلفا ، وكان ينتهى قبل الاحتلال الانجليزى عند (سرس) جنوبى وادى حلفا أيضا ، وصار الحد الجنوبى للسودان ينتهى الآن عند (نيمولى) — الإبراهيمية — بعد أن كان يشمل بحيرة فيكتوريا وبحيرة البرت .

مشروع من الكاب الى القاهرة

كان هذا التوسع الاستعمارى البريطانى فى أفريقية تنفيذاً لمشروع رسمته انجلترا ، وهو إنشاء امبراطورية أفريقية انجليزية تمتد من رأس الرجاء الصالح (الكاب) جنوباً إلى القاهرة شمالا ، وتفرع عند هذا البرنامج مشروع مد سكة حديدية تصل بين المدينتين ، ابتكره المستر سيسيل رودس Cecil Rhodes [1] أحد رواد الاستعمار البريطانى ، كان سيسل رودس من أنشط رجال المال والسياسة الإنجليز ، وقضى ردحا من الزمن فى جنوب افريقيه ، وعلى يده تمت عدة مشروعات مالية كبيرة فى تلك البلاد ، وجمع بنشاطه بين ميدانى المال والسياسة ، وصار أحد وزراء مستعمرة الكاب ، وفى سنة ١٨٩٠ تولى رآسة وزارتها ، وكان من العاملين على توحيد جنوب افريقيه تحت السيطرة البريطانية ، ودعا إلى تنفيذ مشروعه فى مد السكة الحديدية بين الكاب والقاهرة ، ونشرته جريدة التيمس فى مايو سنة ١٨٩٨ ، فصار جزءاً من البرنامج الاستعمارى البريطانى فى إنشاء امبراطورية افريقية انجليزية .

وفى سبيل تحقيق هذا البرنامج استولت انجلترا على مديرية خط الاستواء المصرية ، بعد أن طردت منها أمين باشا كما تقدم بيانه ، ثم بسطت نفوذها فى السودان ، وأقصت مصر عنه باتفاقية ١٩ يناير سنة ١٨٩٩ .

---

(١) ولد سنة ١٨٥٣ وتوفى سنة ١٩٠٢